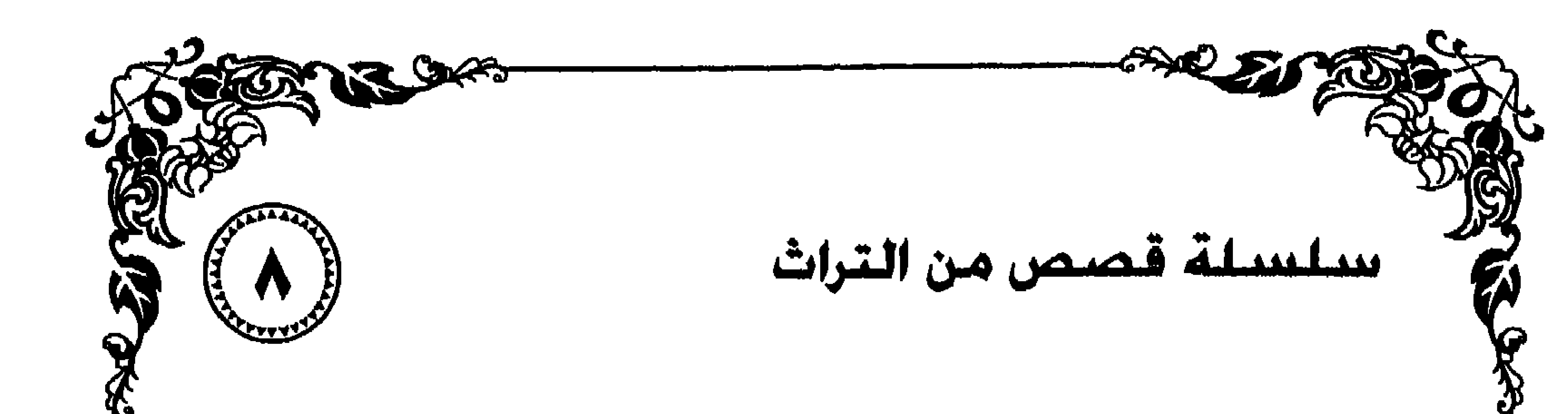


سلسلة قصص من التراث

٨

فتية أذكياء

خليل محمود الصمادي

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصمادي، خليل محمود

فتية أذكياء.ـ الرياض.

١٥ ص، ١٧X ٢٢ سم ـ (سلسلة قصص من التراث)

ردمك: ٣ ـ ٩٨٧ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠

١ـ القصص القصيرة العربية ـ السعودية

أ ـ العنوان ب ـ السلسلة

ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ٢٢/١٠٤٥

ردمك: ٣ـ ٩٨٧ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٠٤٥

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

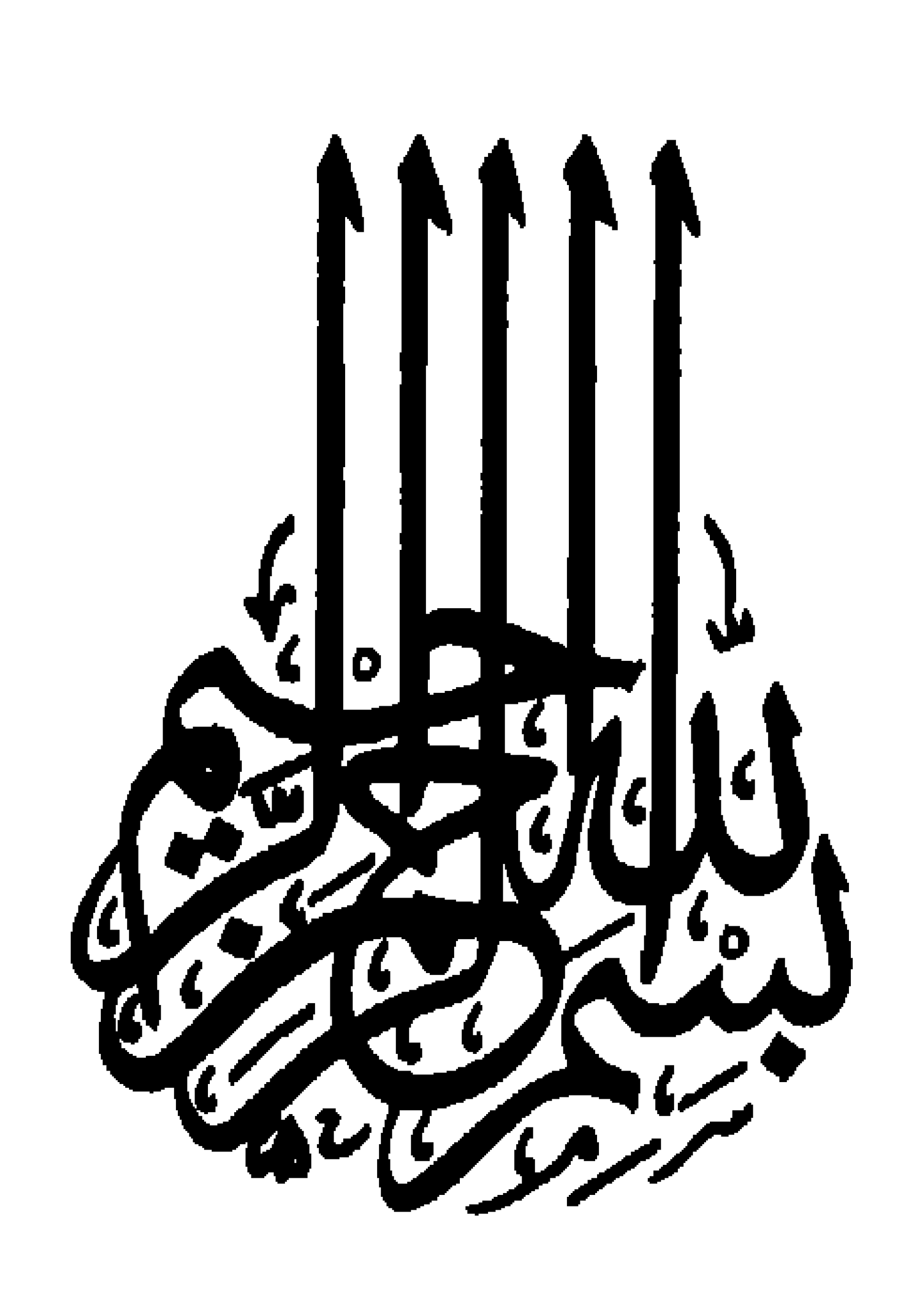
الناشـــــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الحجاجُ بنُ يوسفَ الثقفيُّ إلى العراقِ لإخمادِ الفتنِ والاضطرابات بأمرٍ من أمير المؤمنين عبدِ الملك بن مروانَ القابعِ في دمشقَ.

دَخل مسجدَ الكوفةِ، وصعدَ المنبرَ وهو ملثمٌ ولمْ يتكلمْ بكلمةٍ فاستخفَّهُ الناسُ، وحدثَ هرجٌ ومرجٌ وهو ساكتٌ ينظرُ يمينًا وشمالاً، فَلَّما رأى المسجدَ قد غُصَّ بأهلهِ قالَ: هَلِ اجتمعتْم؟ فلم يردَّ عليهِ أحدٌ شيئًا، ثم انتظر قليلاً ثانية هل اجتمعتْم؟ فخفَّ الهَرْجُ والمرجُ[1]، وصاحَ رجلٌ من القومِ: قد اجتمعنَا، أصلحَ اللهُ الأميرَ وأصلح بني أميةَ الذين يولُّونَ ويستعملون على العراقِ مثلكَ، فضيَّعَ اللهُ العراقَ حيثُ كنْتَ أنتَ أميرها..

كشفَ الحجاجُ عن لثامهِ،ونهضَ قائمًا وأخذَ يَرْعُدُ في المسجد: واللهِ إني لأرى رؤوسًا قد أينعَتْ، وحانَ قطافُها، وإني لَصَاحِبُها، وإني لأرَى الدماءَ ترقرقُ[2] بينَ العمائمِ واللِّحى...» سكَتَ القومُ كأنَّ على رؤوسهمُ الطيرَ، وأخذَ الحجاجُ يتوعدُ ويهددُ الخارجينَ على الدولةِ، ويحذرُ أصحابَ الفتنةِ منْ تماديهمْ

لمْ تكنِ المهمةُ يسيرةً، فقد ظلَّ الحجاجُ شهوراً وهو يعالجُ هذهِ الاضطراباتِ، فقدْ كانَ يُسَيِّرُ الحملاتِ لقتالِ الخوارجِ، ويفتحُ السجونَ لكل

(١) الهرْجُ والمرْجُ: كلام الفتنة.

(٢) ترقرقُ: تسيلُ.

المناوئينَ لهُ ولدولتهِ، وكانَ يخطبُ الخطبَ المروِّعةَ في كلِّ جمعةٍ يتهددُ فيها ويتوعدُ.

وكثيراً ما كانَ يمنعُ التَّجوالَ في الليلِ إذ كانَ يرسلُ جنودَهُ وشرطتَهُ تتعسس(١) الطرقاتِ هنا وهناكَ علَّهم يجدونَ مخالفًا لأوامرِ الحجاج. والتزمَ الناسُ بيوتَهمْ، وخافوا على أرواحِهمْ وقدَّم أكثرهم الطاعةَ للأميرِ الجديدِ بعد أن عرفُوا قوتَهُ وبطشَهُ.

وذاتَ ليلةٍ وبينما كانَ صاحبُ الشرطةِ يطوفُ في شوارع الكوفةِ أبصرَ منْ بعيدٍ ثلاثةَ فتيانٍ يتجولونَ، فأسرعَ نحوَهمْ وأمر جنودَهُ بإحاطتهم، والقبضِ عليهمْ وتفتيشهم ثم اقترب منهم وسألهم:

منْ أنتمْ حتَّى خالفتمْ أمْرَ الحجاجِ بنِ يوسفَ وخرجتمْ في مثلِ هذهِ الساعةِ منَ الليلِ؟ ألا تعلمونَ عقوبةَ المخالفِ؟ أمَا سمعتم بقرارِ منعِ التجوالِ في المدينةِ؟.

تشاورَ الأصدقاءُ الثلاثَة همساً، فانتبهَ لهم صاحبُ الشرطةِ، وصرخَ فيهمْ

هيَّا قولوا منْ أنتمْ حتَّى تحديتمْ قرارَ الحجاجِ؟ اقتربَ الفتَى الأولُ منهُ قائلاً:

(١) تتعسس: تطوف بالليل لتحرسَ الناس.

أناَ . . . ألا تدري مَنْ أنَا؟

لا ، قلْ لي منْ أنتَ أيُّها الغُلامُ؟

أنا ابْنُ مَنْ دانتِ الرقابُ لَهُ
ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيهِ بالرغمِ وَهِيَ صاغِرةٌ
يأخذُ مِنْ مَالِها ومِنْ دَمِها

خافَ صاحبُ الشرطةِ، ورجعَ إلى أصحابهِ يشاورهمْ وهو يقولُ لعلَّهُ من أقاربِ أميرِ المؤمنينَ، إنَّ أباهُ قد دانتْ لَهُ رقابُ بني هاشمٍ وبنيْ مخزومٍ وهما من خيرِ العربِ، بلْ منْ أشرفِها . واقترحَ على جنوده أنْ يفرجَ عنهْم، حتَّى لا يقعَ فيما لا تُحمدُ عُقْبَاهُ، ولكنه أحبَّ أن يتعرف على صديقيه، فاقترب من الفتى الثاني وسألَهُ : مَنْ أنْتَ أيُّها الفتىَ الكريمُ؟ فقالَ :

أنَا ، ألاَ تعرفني؟

لا أعْرِفُكَ، أرجوُ المعذرةَ يا أخَا العربِ

قال الفتى :

أَنَـا ابْـنُ الَّـذي لا يـنـزلُ الـدهـرَ قـــــدرُهُ
وإنْ نـزلـتْ يَـومًـــا فـــســـوفَ تـعـــودُ

تَرَى النَّاسَ أفـــواجًـــا إلى ضـــوءِ نارِهِ
فَـــمِنْهُمْ قـــيـــامٌ حَـــولَهُ وَقُـــعُـــودُ

– أهلاً وسَهلا بكَ، وبأبيكَ.

التفتَ صاحبُ الشرطةِ إلى جماعتهِ قائلاً:

لعلَّ هذا الفتى منْ أحفادِ حاتم الطائيِّ، أو من أبناء المهلبِ بن أبي صفرةَ الرجلُ الذي تعرفُ العربُ كرَمَهُ وسخاءَهُ.

واقتربَ من الفتى الثَّالثِ وحيَّاهُ تحيةً عاطرةً وسألهُ:

وأنت يا أخا العربِ منْ تكونُ؟

– أنا ألا تعرفنيَ؟

– لا أعُرفكَ، وأظنُكَ أيضًا منْ أشرافِ العربِ كصاحبيكَ!!

صاحَ الفتىَ:

أنا ابْنُ مَنْ خَـــاضَ الصُّـــفـــوفَ بـعـــزمِـــه
وقَـــوَّمَـــهـــا بالسَّـــيفِ حـــتَّى استـــقـلتِ

ركـــاباهُ لا تفـــتكُ رِجْـــلاهُ مِنّهُـــمَـــا
إذا الخَـــيلُ في يَوْمِ الكريهـــةِ تولَّتِ

ــ ما شاءَ اللهُ يا أخي، أبلغ سلامي لأبيكَ، وباركَ الله فيكَ وفيه، إنَّ هذه الشجاعةَ التي رأيتُهَا لابدَّ أنْ تكونَ قدْ أتتكَ منْ فارسٍ شجاعٍ لا يملُّ من خوضِ المعاركِ والحروب.

التفتَ صاحبُ الشرطةِ إلى أصْحَابه، أخذَ يتداول الأمرَ فاقترحَ الإفراجَ عنهْم حالاً، ولكنَّ بعضَ رجالهِ اقترحَ أنْ يصحبوهُمْ إلى دارِ الشرطةِ، ويرفعَوا أمرهم للحجاج حتىَّ يبتَّ في أمرهمْ. فقد خشوا أن يشيَ[١] أحدٌ بهم إلى الحجاجِ متهمهم بالتهاونِ أو بأخذِ رشوةٍ أو غيرِ ذلكَ.

وافق صاحبُ الشرطةِ على هذا الاقتراحِ، ولكنَّهُ شرطَ على أصحابهِ أنْ يعاملوهم معاملةً تليقُ بهمْ، وألاَّ يتعرضَ أحدٌ لهم بالضربِ أو الإهانةِ أو التوبيخِ، واقتربَ من الفتيان الثلاثةِ وقالَ لهُمْ أيُّها الفتيانُ الأنجابُ، يا أبناءَ الشجاعةِ والكرمِ، لوْ سمحتمْ أنْ تأتوا معنا إلى دار الشرطةِ حيثُ لا نستطيعُ الإفراجَ عنكمُ إلا غداً، لأنَّ الوقتَ الآنَ متأخرٌ والناسُ نيامٌ، وأُقسمُ لكم ألاَّ يتعرضَ أحدٌ لكم فأنتمْ في ضيافتنا حتَّى الصباحِ فقط.

(١) يشي: ينمُّ ويسعى للإضرار بالآخرين.

أذعنَ الفتيانُ الثلاثةُ لرغبةِ صاحب الشرطةِ وساروُا مَعَهُ باحترامٍ وتقديرٍ، وهناكَ دخلُوا الدارَ: وهُيِّئَتْ لهمْ غرفةٌ مستقلةٌ حيثُ الأَسِرَّةُ والأغطيةُ النظيفةُ، وحيثُ الطعامُ والشرابُ وكلُّ مالذَّ وطابَ. أمضى الفتيةُ الثلاثةُ ليلتَهمْ في هذهِ الغرفةِ الجميلةِ وأخذوا يتسامرون ويذكرونَ ما حلَّ بهمْ، فساعة يتوجسونَ خيفَةً مما سيحصلُ لهمْ عندمَا يبزغُ الصباحُ، وساعةً يضحكونَ مما هُمْ فيه، ولكنهمْ بعد أنْ انتصفَ الليلُ انسحبوا إلى الأَسِرَّةِ الوفيرة وناموُا نومًا هادئًا لم يناموا مثلهُ في حياتهم.

فلمَّا تنفس الصباحُ كانَ صاحبُ الشرطةِ على بابِ الحجاجِ يزفُّ له البشرى السارة.

دخلَ عليهِ ليخبرهُ ما حصلَ الليلة الماضية، وقالَ لهُ:

احتجزتُ ثلاثةَ فتيانٍ منْ أشرافِ العربِ كانُوا يجولُون ليلاً، ولكنَّني عاملتهمْ معاملةً تليقُ بهمْ، وهمُ الآنَ في دار الشرطةِ بالصونِ والأمانِ وقد كنتُ سأفرجُ عنهم لما علمت شرفهم وحسبهم ونسبهم ولكنني أحببت أن أعرضَ الأمرَ عليك يا مولاي.

طلبَ الحجاجُ منْ صاحبِ الشرطةِ إحضارَ الفتيان في الحالِ؛ ليطَّلعَ على أحوالهم، وليعرف مَنْ هم الأشراف.

بعدَ لحظاتٍ كانوا في دارِ الإمارةِ وجهًا لوجهٍ معَ الحجاجِ فسأَلَ الأوّلَ: منْ أنت؟ فأجابه كما أجابَ صاحبَ الشرطةِ.. وسألَ الثاني وسأل الثالثَ وكانت إجابتهما كما أجابا صاحبَ الشرطةِ.

فكرَّ الحجاجُ مليًا، وأخذتهُ الدهْشَةُ، وتعجبَ منْ ذكائِهم وقالَ للأولِ:

ـ إنَّ أباكَ قدْ دانتْ لَهُ الرقابُ.

ـ نعمْ أيُّها الأميرُ.

ـ أنْتَ ابنُ حجامٍ[1]

وابتسمَ ابتسامةً بدتْ فيها أساريرُ وجههِ

وقالَ للثاني:

أنتَ ابنُ الذيَ لا ينزلُ الدهرَ قدرُهُ

ـ نعمْ أيُّها الأميرُ.

ـ أنتَ ابنُ فوَّال، يبدو أنَّ فول أبيك لذيذ الطعم.

وضحكَ الحجاجُ ضحكةً أضحكَ معَهُ صاحبَ الشرطةِ الذي اكتشف

(١) الحجامُ: مهنةُ مَنْ يمصُ الدمَ بالمحجمِ.

شدةَ غبائهِ، وأحس بالمقلب الذي شربهُ طوال الليل، وضحك أيضًا كلٌّ من كان في المجلس.

وقال للثالثِ:

– أنتْ ابن مَنْ خاضَ الصفوفَ بعزمهِ

– نعمْ يا مولايَ

– أنت ابن حائك يبدو أنَّ منسوجات أبيك جيدة

– نعمْ يا مولايَ

وضحكَ الحجاجُ بأعلى صوتِه، واستمرَ يضحكُ حتَّى ضجَّ المجلسُ، وبعد أنْ هدأَ واستعادَ أنفاسَهُ قالَ:

عَلِّموا أولادكم الأدبَ والفصاحة والبيانَ، فوالله لولا فصاحتُهمْ لسجنتُهمْ أمدًا طويلاً ولجعلتهمْ عبرةً لغيرهم.

أيُّها الفتيان، انطلقُوا إلى بيوتكمْ وأبلغوا سلامَ الحجاجِ إلى آبائِكم الذين اهتموا بكمْ وعلموكمْ طرفًا من الأدبِ والشعر والحكمةِ. والتفت إلى الحاضرين قائلا: أيُّها الناسُ، قال عليُ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ الله وجهَهُ: الأدبُ كنزٌ عندَ الحاجةِ وعونٌ على المروءةِ، صاحبٌ في المجلسِ، أنيسٌ في الوحدةِ

تعمرُ به القلوبُ الواهيةُ[1]، وتحيا بهِ الألْبَابُ[2] الميتةُ وينالُ بهِ الطالبونَ ما حاولوا.

ثمَّ قالَ:

كنِ ابْنَ منْ شئتَ واكتسبْ أدبًا
يغنيكَ محمودُهُ عنِ النَسَبِ

إنَّ الفتى منْ يقولُ ها أناذَا
ليسَ الفتى مَنْ يَقُولُ كَانَ أبِي

فرحَ الفتيانُ الثلاثةُ منْ كلامِ الحجاجِ وبدتْ على وجوههمْ علاماتُ الرضى والسرورِ، وتقدَّم أولهمْ وقال: هلْ تأذنُ لي يا مولايَ بقولِ شعرٍ عن الأدبِ، فأنا أحفظ الكثيرمنهُ.

- تفضلْ أيُّها الفتىَ

قال:

لكلِّ شيءٍ زِينَةٌ في الورَى
وزينةُ المرءِ تمامُ الأدبْ

(١) الواهية: الضعيفة.

(٢) الألباب: العقول.

قـــــــد يَشْـــــــــرُفُ المرءُ بـآدابـهِ
فــــينا وإنْ كَـــــان وضـــــيع النسبْ

قالَ الحجاجُ أحسنت يا بني، فنعمتِ الزينةُ زينةُ الأدبِ. ونعم الشرف شرفُهُ.

وتقدم الثاني قائلاً وأنَا أتأذنُ لي يا مولايَ

– بكل سرورٍ

قال:

مَـــاليَ عَـــقِلي وهمـــتي حَـــسَـــبي
وَمَـــا أنا مَـــوْلى[1] وَمَـــا أنَا عَـــرَبي
إذا انْتَـــــــمى منتمٍ إلى أحـــــــدٍ
فــــــــإنـني منتمٍ إلى أدبـي

قالَ الحجاجُ: ونعمَ الانتماءُ الذيْ أنتميتمْ إليهِ

وتقدمَ الثالثُ قائلاً: وأنَا يا مولاي أتأذن لِي:

ولمَ لا؟، تفضل وقل ما عندك.

---

(١) مولى: مسلم غير عربي.

فِي النَّاسِ قَــومٌ أضَــاعُــوا مَــجْــدَ أولِهـمْ
مَـــافي المكارم والتـــقـــوى لـهـمْ أربُ
ســـــوءُ التــــأدبِ أرداهـمْ وأرذلـهـمْ
وَقَـــدْ يزينُ صـــحـــيحَ المنصبِ الأدبُ

وفي الحـالِ ودَّعَ الحـجـاجُ الفـتـيـانَ الثـلاثةَ وأوصـاهم بالتـزود منَ العلمِ والأدبِ

انصرفَ الفتيانُ وهم مسرورون مما لاقوه.

نظرَ الحجاجُ إلى صاحبِ شرطتهِ وأخذَ يلومُه فضحكَ وأضحكَ الجميع.